E- ISSN : 2571-9742
DM

سوسيولوجيا العلاقات الدولية مقاربة في فهم التفاعلات بين الدول

العراجي عبد الكريم طالب دكتوراه(*)

جامعة وهران2

Karimsociologue16@gmail.com

المقرر :د. مصطفى زاوي

جامعة وهران2

تاريخ الإيداع: **2017/01/15** تاريخ القبول: **2018/03/01** تاريخ النشر: **2018/03/31**

الملخص:

في هذه المحاولة العلمية نحاول التعريف بحقل جديد وهو سوسيولوجيا العلاقات الدولية كحقل معرفي قائم بذاته يخضع لمناهج ومقاربات قابلة للتحقيق الإمبريقي من خلال دراسة التفاعلات بين الدول في سياق العلاقات الدولية والقيام بعملية إسقاط سوسيولوجي للعلاقات الدولية كفعل عمومي منظم وصياغة استنتاجات منهجية توثق علاقة هذا التخصص بعلم الاجتماع .

الكلمات الدالة:

التفاعل ، التواصل ،الصراع ، المقاربة ،الباراديغم

Abstract:

In this scientific attempt, we will try to define a new field which is the sociology of international relations as a self-defined knowledge field. It is subject to achievable empirical methods and approaches through studying the interactions between countries in the context of international relations and carrying out a sociological projection of international relations as an organized common act , and formulating methodological conclusions that document the relation of this specialization to sociology.

Key Words:

Interaction , Communication, Conflict, Approach, Paradigm

(*) المؤلف المطابق

E- ISSN : 2571-9742
DM

لا يزال علم الاجتماع السياسي يعاني من الغموض في بعض قضاياه وحتى ميادينه التي لا يزال يكتنفها الغموض لذلك فهو في تغير مستمر ومعقد بسبب تطور الأوضاع السياسية والمتغيرات الاجتماعية والحضارية فهذا العلم القديم بقدم السلطة والجديد بجدية التغيرات الدولية التي فرضت نقاشات عمومية وعلمية في بعض الفضاءات العلمية والأكاديمية.

والمتعارف عليه علميا ومنهجيا هو أن موضوع العلاقات الدولية هو وليد النظم الدولية وحكر على العلوم السياسية وهذا الإقرار فرضته جل المقاربات الفرانكوفونية والأنجلوسكسونية التي أقرت أحقية العلوم السياسية بهذا العلم هذا الواقع المعرفي أثار الفضول في نفوس بعض الباحثين والمنظرين في علم الاجتماع السياسي وحاولوا جاهدين على تأكيد الصلة بين علم الاجتماع السياسي والعلاقات الدولية وأن كلاهما يصب في خانة واحدة ألا وهي التفاعل الذي يحدثه تواصل الدول فيما بينهم .

وهذا الهد والتنقيب الذي قام به علماء السوسيولوجيا في هذا المجال ساهم في توضيح الرؤية لنا نحن الباحثين في هذا الحقل حيث أزالوا لنا الغموض عن بعض ميادين علم الاجتماع السياسي وقضاياه وسمحوا لنا بخوض غمار المغامرة العلمية لكي نؤكد أحقية علم الاجتماع السياسي بالعلاقات الدولية ونبين ماهية تخصص سوسيولوجيا العلاقات الدولية في مجال العلوم الاجتماعية ولهذا سوف نقوم بطرح التساؤل التالي وهو ما هي المقاربة أو الاتجاه النظري السوسيولوجي الذي يؤكد العلاقة بين علم الاجتماع السياسي والعلاقات الدولية في باراديغم جديد وهو سوسيولوجيا العلاقات الدولية ؟

أولا: ماهية تخصص سوسيولوجيا العلاقات الدولية

إن سوسيولوجيا العلاقات الدولية sociologie des relations internationales (SRI)**أو** الدبلوماسية و ما يعرف بالعلاقات الدولية جاء كتخصص ليدرس مفهوم التكامل والاندماج بين الدول والمجتمعات يركز هذا الفرع العلمي على تجاوز أطر الدولة القومية ويدرس كذلك ظاهرة الانضمام الطوعي للدول داخل منظومة المجال أو الدول المشكلة للمجتمع الدولي .وهو يستند على عملية إعادة بناء الهويات وإعادة تحديد وتفعيل الأدوار على المسرح الدولي وتعزيز وتطوير مفهوم المواطنة في إطار أوسع هذا كله يعطي لهذا العلم الجديد القدرة على دراسة التواصل والتفاعل الهوياتي على أساس المصلحة وليس الانتماء العرقي أو القومي .

E- ISSN : 2571-9742
DM

عن طريق ترسيخ معايير وقيم التواصل والتعاون والتفاعل والتبادل بين الدول وتجسيد قيم التبادلات والتفاعلات بين الجماعات البشرية لأن هذا التخصص يسعى إلى خلق علاقة نسقية تختصر العالم في مؤسسة دولية وهذا شكل من أشكال العولمة والعمل على توزيع السلطة بين الدول بأشكال جديدة تخلق التفاعل بين الدول .فسوسيولوجيا العلاقات الدولية هي نموذج علمي يقوم على أطر مفاهيمية تعمل على تكوين مجال بحثي جديد في علم الاجتماع السياسي لأن هذا العلم يتجاوز فكرة المجتمع القومي أو القطري ويؤسس لمفهوم تفاعلي تواصلي جديد وهو مفهوم المجتمع العالمي

وبدوره يدرس هذا التخصص المجتمع باعتباره وحدة متجانسة ومتكاملة للجنس البشري ومن المفاهيم التي يرتكز عليها هذا النموذج البنائي المعرفي هي مفهومي اللاعب الدولي والتنظيم الدولي [1] ،والضرورة التي فرضت هذا التخصص من وجهة نظر عالم السياسة الفرنسي بارتراند بادي هو ظهور ظواهر تعرف بالفوضويات العالمية التي أشار إليها **دوركايم** DURKHIEM بأنها خاصية مميزة للعلاقات[2] الدولية لأن كل نظام اجتماعي يسوده نوع من الضعف أو الخلل التنظيمي بسبب حدوث الأزمات وهذه الظاهرة لا تشكل استثناء من القاعدة .هذا المدخل النظري يعمل على وضع قواعد قانونية و سوسيولوجية وفلسفية أخلاقية لقواعد التنظيم الدولي الذي تشرف عليه الدول والمجال الدولي يقترن بالضمير الجمعي حسب تفكير دوركايم والذي يتجسد في المصلحة الوطنية التي تنسجم مع المجال الدولي .وهذا التصور الدوركايمي يمكن من بزوغ معايير تساهم في خلق قيم عامة يشترك فيها المجتمع العالمي[3] والتي بدورها تكرس وترسخ الاعتقاد بضمير كوني تكون حقوق الإنسان هي مرجعيته الفكرية و الإنتمائية وفكرة التنظيم الدولي لا يمكن لها أن تتحقق بمعزل عن الديناميات السياسية .

ثانيا :التأصيل السوسيولوجي لهذا التخصص

المرجعية السوسيولوجية والعلمية لهذا التخصص يمكن القول أن العلماء الذين درسوا هذا التخصص على شاكلة ريمون آرون استندوا في تفسيراتهم لهذا العلم على إسهامات ماكس فير التي عملت على دراسة وتفسير الفهم La compréhension [4]ا الذي يقوم على فهم التفاعلات بين الأفراد والجماعات.لذلك سوف نقوم بدراسة السلوكات الدوافع والغايات التفاعلية في المجتمع الدولي.

فالإسقاط السوسيولوجي الذي نريد أن نسقطه على هذا التخصص وهو **التوجيه القيمي للفعل الدولي في الساحة الدولية** وهذا يدل على القيم الحقيقيةTrue Values [5].

E- ISSN : 2571-9742
DM

فالتوجيه القيمي للفعل الدولي يساهم في الحفاظ على استقرار المجتمع الدولي.والإطار الفيبيري لهذا التخصص هو أن هذا الحقل المعرفي أو الباراديغم يحاول الوصول إلى فهم تفسيري للفعل الدولي الذي يستمد من الفعل الاجتماعي في التفسير السببي لنتائج الفعل الدولي.هذا الطرح يمكننا من توظيف و استعمال علم الاجتماع الفهمي الذي يرى بأن مهمة فهم علم الاجتماع هي تفسير السلوك في معنى التفاعل الدولي.لذلك فإن سوسيولوجيا العلاقات الدولية هي تخصص مطالب بتقديم تفسيرات لائقة من جهة العلة من أجل دراسة التفاعلات الدولية وتعمل على افهامنا للأدوار والوظائف داخل النسق الدولي.فهذا العلم الجديد يقوم كذلك على وجه آخر بعمل نقدي،يقوم على تحليل وتفسير سوسيولوجي للمتغيرات التي تقوم بها الفواعل الدولية.

إن هذه العلاقة الجدلية والتي تتميز بالترابط والتتابع بين التفسير والفهم [6]تمكن الباحثين في حقل سوسيولوجيا العلاقات الدولية من بناء نموذج فعل دولي يساهم في حركية واستمرارية المجتمع الدولي.

كل هذا يساهم في بلورة نموذج تحليلي وتفسيري للفعل الدولي الذي يستند على مرجعيات عقلانية وقيمية تحقق التفاعل المعياري بين الدول،وبدوره يقوم الفهم بتأصيل هذا التخصص الجديد القديم في ميدان علم الاجتماع لأنه يمكننا من معرفة الأسباب والعوامل التي تحرك المجتمع الدولي والفاعلين الذين ينتجون الظواهر الدولية ويمكننا كذلك من إدراك المعاني التي تنتجها الأفعال الدولية.

فالطرح الفيبيري في تفسير العلاقات الدولية يمكننا من المقارنة والفصل والتمييز بين مفهوم الفعل ومفهوم السلوك.وهذا ما يؤهل الباحثين في هذا الحقل من القيام باستنتاجات علمية وسوسيولوجية تقدر على تفسير الواقع الدولي الذي هو نتيجة الوقائع والتراكمات التي تسمح بإفراز التفاعلات بين الدول .

ومن بين المنظرين الأوائل لسوسيولوجيا العلاقات الدولية هو العالم الفرنسي ريمون آرون لان فكره ومشروعه العلمي يتميز بالاتساع والتعقيد مما مكنه من الجمع بين العلوم السياسية وعلم الاجتماع .ولقد برز النموذج الفكري لهذا العالم في مجال العلاقات الدولية من خلال كتابه **السلام والحرب** [7]فهذه الميزة العلمية لمشروعه خلق نوع من الصعوبات لدى الباحثين لكي يقوموا بتصنيفه في مجال بحثي معين لذلك قام بجمع التاريخ مع علم الاجتماع في مجال دراسة المتغيرات الدولية .

ومن عنا عمل على تأسيس بوادر علم سوسيولوجيا العلاقات الدولية لانه قام بعملية إسقاط علمي على وجود الفرق الجوهري بين الجماعات المحلية وتوظيفه كمنهج دراسة على الفروقات الجوهرية بين

E- ISSN : 2571-9742
DM

الجماعات الدولية من خلال دراسة وتوظيف السلوك الدبلوماسي والاستراتيجي الذي يؤسس للعلاقات الدولية[8] .يرى عالم الاجتماع الفرنسي ريمون آرونRaymond Aron أن هدا العلم نجمه مع ظهور جيل جديد من علماء الاجتماع و لا سيما الشباب و ظهرت أفكارهم و نقاشاتهم في المجلات العلمية مثل المجلة الفرنسية لعلم الاجتماع.

و لقد بدا هذا الاهتمام بهذا الحقل مع بداية توطد العلاقة بين الحرب و المجتمع الصناعي [9] و تطور هذا المشروع مع الجمعية الدولية لعلم الاجتماع و التي قررت بان تكون سوسيولوجيا العلاقات الدولية هي الموضوع الرئيسي للمؤتمر العالمي لعلم الاجتماع[10].ولقد ساهمت الجمعية الفرنسية لعلم الاجتماع في وضع مقاربة تناظرية APPROCHE SYMETRIQUE بين الحرب و العلم من اجل دراسة هذه المقاربة الجديدة في حقل علم الاجتماع التي تدرس السلوك الاجتماعي للعلاقات الدولية la socialité des relations internationales.و هذا التخصص ينظر لمفهوم الدولة المدنية التي تتجاوز الحالة الطبيعية،و فكرة المدنية تتعلق بمفهومي القانون و الشرعية و هذا يمكن من الإجماع بين سوسيولوجيا النسق الاجتماعي أو سوسيولوجيا الإجماع و سوسيولوجيا العلاقات الدولية [11] و الجمع بين هذه الفروع العلمية يحقق الانسجام و تماسك المجتمع الدولي و علماء الاجتماع الذين يتبنون هذا الطرح كما يرى ريمون ارون هم من المتأثرين بالمدرسة الأمريكية.

هذه المقاربة تسمح بوجود علاقات دولية بين الدول المدنية و هذه العلاقات تعمل على إلغاء احتكار العنف و الإكراه غير مشروط بين الدول من القيام بعلاقات مع دول أخرى.و هذا ما يسمح بتشكيل و بناء نسق العلاقات الدولية يرتكز على الشرعية و الإجماع. هذا التخصص أو الطرح الذي نظر له علم الاجتماع في مجال السياسة يستند على شرط بنائي دائم condition structurelle permanente للعلاقات الدولية التي تتجاوز المجتمعات التقليدية.و هذه الأنماط من العلاقات التي تكون بين الأفراد و المنظمات تساهم في صيانة نظام دبلوماسي يكون عادة غير مكتوب وغير موثق بل يفرض معايير متفق عليها [12] وكذلك مجموعة من القواعد تخلق الاحترام و الالتزام .و كذلك محاربة الصراعات العسكرية التي تقضي على الاستقرار الدولي الذي تشكله المجتمعات المدنية.

وهي تعمل كذلك على القضاء على حروب المجتمعات التقليدية التي تساهم في إلحاق الضرر للدول و كذلك تؤثر على سيادة الدول،و تفرض نوع من العقلانية الوظيفية التي تتجاوز الحروب [13] و هذا بدوره أنتج سوسيولوجيا تقوم بدراسة المنظمات الدولية مثل :منظمة الأمم المتحدة كمؤسسة سياسية

E- ISSN : 2571-9742
DM

دولية عن طريق تطبيق مناهج السوسيولوجيا العلمية للمنظمات الدولية من اجل صياغة مخطط عقلاني schéma rationnelleلتنظيم العلاقات الدولية التي تخلق التنافس بين الدول و خلق نظام دولي منسجم و متماسك .و تعتبر المدرسة الأمريكية في علم الاجتماع هي المنطلق النظري الذي استند عليه ريمون آرون في تصوره لسوسيولوجيا العلاقات الدولية ،و بالخصوص التيار التفاعلي الذي يعد كانقلاب علمي على مدرسة شيكاغو التي ترى بان الوقائع الاجتماعية تتشكل من خلال ديناميات التبادل و المبادلات بين الأفراد و الفاعلين.

في نهاية الخمسينيات كانت السيوسيولوجيا الأمريكية تعاني من هيمنة منهجية يفرضها نهجين و هما التيار البنيوي الوظيفي بزعامة تالكوت بارسونز ومن جهة أخرى السوسيولوجيا التكميمية و الإحصائية لبول لازار سفلد[14] و هذه الهيمنة خلقت نوع من الارتجاج لمدرسة شيكاغو التي تخلت نوعا ما عن منهاجها و تصوراتها ودخلت في حقل جديد و منهجي. و هو التفاعلية الرمزية بزعامة بلومر BLUMER [15] وهذه المقاربة خلقت نوع من التفكير ة التحليل للظواهر الاجتماعية و العنصر الأساسي الذي فرض على ريمون آرون على توثيق العلاقة بين سوسيولوجيا العلاقات الدولية و المدرسة التفاعلية الرمزية إن صح القول هو تركيزه عل مفهوم **فهم دينامية المبادلات** هذه الدينامية هي نتاج وتراكم علمي ومنهجي للتفاعلية الرمزية التي ولدتها الظروف السوسيولوجية لمدينة شيكاغو الأم.

وانطلاقة هذه الدينامية التفاعلية عرفت نهضة حقيقية في نهاية عقد الخمسينات وساهمت كل من أعمال:هوارد بيكر و أنسلم شتراوس وكلاهما يرى بأن الواقعة الاجتماعية ليست معطى بل هي افراز لصيرورة تفرضها التبادلات والتفاعلات على مستوى العلاقات التي تنحصر في سياق عياني وملموس[16] وهذا كله يتناقض مع النزعة الوظيفية.ويرى كذلك أنصار هذا التيار التفاعلي بأن المبادلات التي تفرضها الديناميات الاجتماعية تكون عملية تفاعلية معقدة تسمح بتشكل هذه العلاقات من جديد عن طريق الملاحظة الأمبيريقية التي تساهم في تثبيت قواعد التفاعلات وهذه تمكن الباحثين من توظيف المقاربة الميكرو سوسيولوجيMicrosociologique في تحليل وتفسير العلاقات الدولية التفاعلية، ومن بين الدراسات التي صادفتنا والتي تؤكد عمق العلاقة بين المدرسة الأمريكية و سوسيولوجيا العلاقات الدولية هي طرح ارفنغ غوفمان الذي غالبا ما يصور المجتمع كمسرح يخضع للتفاعلات الاجتماعية وطقوس التواصل التي تؤسس لمعايير وآليات التنظيم[17].

E- ISSN : 2571-9742
DM

ويؤكد بارسونز في كتابه: " بناء الفعل الاجتماعي"أن التفاعلات والتبادلات المشكلة للفعل الاجتماعي ترتكز على نموذج فعل منبثق من الواقعية التحليلية Analytical Realism.[18] التي تساعد في فهم العالم الخارجي الذي يدعى الواقع الأميريقيEmpericl Reality [19].الذي يساهم في صياغة مقاربة منهجية وسوسيولوجية تدرس التفاعلات الدولية بين الدول باعتبارها ظاهرة امبريقية التي تخلق تفاعل مستمر بين المفهوم والواقع ونمط العلاقات الدولية لا يتحقق إلا في شكل أو صورة مجتمع يكون في هيئة أو شكل واقع امبريقي يجمع بين التحليل والواقع. ويمكن وصف العلاقات الاجتماعية بأنها صراع[20] وذلك عندما نقوم بإسقاط الفعل على غاية الإرادة فالمجتمع هو مجموعة من الشركاء والفاعلين.والصراع السلمي هو ما يطلق عليه إسم التنافس[21].الذي يكون على شكل تصرف سلمي من أجل فرض السلطة أو الإرادة.والتنافس الذي يكون على شكل صراع سلمي يكون بشكل منظم خاصة إذا كانت أهدافه موجهة وفق معايير نظام معين فالصراع الذي نقصده في مجال سوسيولوجيا العلاقات الدولية هو كيف تؤثر نوايا الدول التي تسعى إلى فرض هيمنتها على دينامية المجتمع الدولي.وهذا الصراع يكون نمطي وجماعي غايته تحقيق أهداف الدول ولكن لا يجب للصراع أن يكون ضد أو ينقلب على التكيف الاجتماعي والعلائقي بين الدول.وسلوك الصراع يجب أن يكون عقلاني وشرعي ويحفظ خصوصيات الدول والمجتمعات . فالصراع المقصود في سياق بحثنا يكون قيمي عقلاني غائي ويعتبر الوعي هو الموجه الأساسي للصراع وكذلك عنصر الاستقلالية.

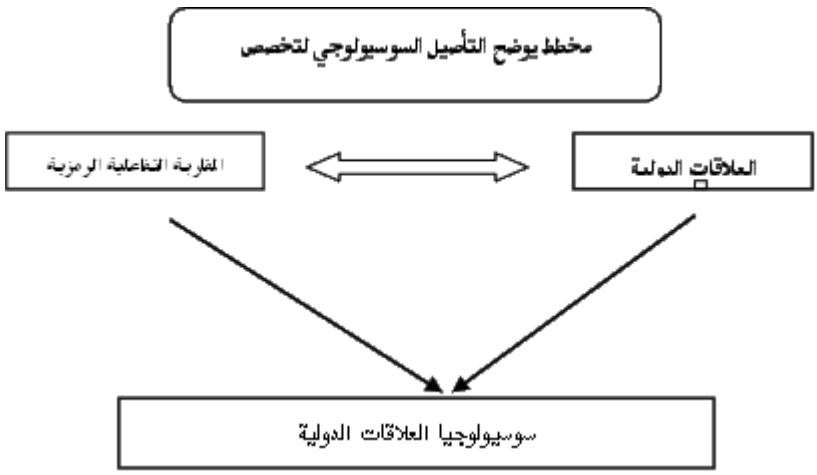

E- ISSN : 2571-9742
DM

ثالثا: المقاربة التفاعلية السوسيولوجيا العلاقات الدولية

لا يمكن فهم العلاقات الدولية بمعزل أو بمنأى عن فهم التفاعل الرمزي وعلى وجه الخصوص التفاعل وأساسه هو الفعل الاجتماعي الموجه والذي يكون بمثابة أداة معبرة للمعنى الذي يسعى الفعل إلى تحقيقه.ونحن في هذا السياق سنقوم بعملية تأويل سوسيو تفاعلي للعلاقات الدولية.

فالتفاعل بين الدول هو الذي يسمح بانبثاق النظم والبناءات التي تشكل المجتمع الدولي[22]،الذي يستند على العلاقات التبادلية و التداخلية التي تنتج التأثير بين الفاعلين تتمكن من تأطير التواصل الدولي البناء والسلمي.فهذا التيار المعرفي لم يكن وليد العدم بل أوجدته مصادر فكرية وفلسفية أهمها البراغماتية وفلسفة الأفكار والسلوكية[23].لكن المصدر الأصلي و الفعلي La source authentique الذي تأثر به المعاصرون في علم الاجتماع هو ماكس فيبر الذي نظر لمفهوم الفعل الاجتماعي والتفهم.

و لا ننسى أن البراغماتية هي كذلك تعتبر كمنهل ومرجع لماكس فيبر حيث أنها نظرت لفلسفة الفعل لكن العلاقة المحورية بين التفاعلية الرمزية وسوسيولوجيا العلاقات الدولية تكمن في بناء وتطوير نموذج نسقي للفعل وفق أطر ومقومات معيارية.ويرى مؤسسو هذا التيار أن التفاعل هو نتاج حقيقة واقعية تفرضها أفعال الناس وأن عنصر القدرة هو العلة في وجود التفاعل وكذلك عنصري الاستقلالية والتحرر أي علاقات القوة في التفاعل.

نود في هذا السياق أو الاطار المفاهيمي أن نوضح الارتباط المنطقي بين الفعل والقوة لأن موضوع سوسيولوجيا العلاقات الدولية هو مرتبط ومقترن بنظرية الفعل[24] التي تساهم في تحديد وتأطير العلاقات التفاعلية بين الدول.والقوة عند الفاعل تتجسد في القدرة التحويلية للأفعال والسلوكات ولأن القوة هي الجوهر الأساسي في قيام العلاقات بين الأفراد وهي التي بدورها تؤسس لمفهوم التكيف الاجتماعي والذي نقوم بإسقاطه على التكيف بين الدول.والتفاعل المبني على القوة والصراع هو الذي يساهم في بلورة مقاربات سوسيولوجية تسمح بتوفير أرضية منهجية من أجل دراسة العلاقات الدولية في حقل علم الاجتماع السياسي.يعتبر الفعل الاجتماعي من الأركان المؤسسة لعنصر التفاعل الذي يكون ناتج عن النسق الاجتماعي باعتباره مجموعة من الفاعلين لكل واحد منهم مركز معين.

وكل هذه الأفعال تساهم في إنتاج وتكوين نمط معين من العلاقات التي تتحكم في الأعضاء وبناءا على هذا الطرح سوف نعتمد على تبني آليات التحليل النسقي عند بارسونز لأن هذا التحليل يتكون من 4

E- ISSN : 2571-9742
DM

عناصر أساسية وهي الفعل الاجتماعيSocial Action والموقفSituation والفاعل Actor،توجيهات الفاعل Actor Isorientation.[25]هذه العناصر المؤسسة للتحليل النسقي للأدوار والتفاعلات تساهم في بناء نظرية سوسيولوجية قابلة للتطبيق في حقل العلاقات الدولية ودمج الفعل والمصلحة في سياق تفاعل متبادل ومنسجم.وهنا يكون للنسق système أهمية وظيفية من حيث تنظيم التفاعلات والسلوكات.وجوهر التحليل النسقي التفاعلي الذي يدرس العلاقات المتبادلة بين الدول والحكومات في الحقل الذي نريد تأكيد هويته السوسيولوجية وهو حقل سوسيولوجيا العلاقات الدولية وهو الترابط العضوي بين الوظائف والأدوار داخل فضاء تفاعلي وتواصلي وهو المجتمع الدولي[26] .

والهدف من الربط بين المقاربة التفاعلية الرمزية وكل ما تحتويه من رؤى وتوجيهات ومرتكزات فكرية ومنهجية وتيار العلاقات الدولية هو تحقيق الفعالية والتوازن بين الفاعلين في مجال العلاقات الدولية ومن هنا يمكن لهذه المقاربة السوسيولوجية أن تحقق عناصر الانسجام والتوافق ضمن مقاربة ومنهج يسمح بدراسة العلاقات الدولية كتخصص يحقق التفاعل والاحترام والتواصل بين الدول والاستعمال العقلاني للقوة والبصمة أو اللمسة السوسيولوجية تكون في العلاقات الدولية من خلال تطبيق وتفعيل مفاهيم وظيفية مثل:التكيف Adeptation وتحقيق الهدف Goal Attainment وتحقيق التكامل Integration والحفاظ على النمط maintenance[27] Pattenern.

هذه المفاهيم والمؤشرات كلها تسعى إلى الحفاظ على النظام والاستقرار ومحاربة فوضى الاجتماع في المجتمع الدولي وتبحث عن عوامل واستراتيجيات تساهم في بناء التفاعل الاجتماعي بين الدول ضمن سياق سياسي دولي.وتعتبر الدراسات السياسية هي الأرض الخصبة لتطبيق المقاربة التفاعلية الرمزية في العلاقات السياسية وذلك أن القرار السياسي هو نتاج لجملة من التفاعلات السياسية والاجتماعية.

وهذه المقاربة السوسيولوجية هي جسر أو همزة وصل بين البيئة السياسية والبيئة الاجتماعية مما يسمح بحدوث دورة سيبر نيتيقية Circulation cybernétique التي تسمح للباحث في علم الاجتماع السياسي أن يفهم طبيعة النظام السياسي والدولي وفهم العلاقات التفاعلية بين الدول مما يشكل له نموذج إرشادي تفاعلي، بمعنى آخر باراديغم تفاعلي [28] Un Paradigme Interactionniste يحدد وظيفة الفاعلين داخل الساحة الدولية والهدف من إدخال النظرية التفاعلية الرمزية في حقل العلاقات الدولية باعتبارها تدرس قدرة الفاعلين أو الدول في الحفاظ على الهوية والانتماء في ظل الاندماج في المجتمع الدولي[29].

E- ISSN : 2571-9742
DM

لأن هذه المقاربة بدورها تساهم في إعادة صياغة سلوك تداخلي للدول باعتبار الفعل والسلوك كلاهما يعمل على تأسيس العلاقات الدولية بين الحكومات والدول كون الأفراد المتفاعلين ممثلين لمؤسسات وحكومات.

رابعا: الحاجة لهذا التخصص:

حقل سوسيولوجيا العلاقات الدولية هو علم جديد ظهر بعد نهاية الحرب العالمية الثانية وخصوصا في الولايات المتحدة الأمريكية و بريطانيا بينما في فرنسا كان من اختصاص المؤرخين فهذا التخصص جاء لكي يدرس الظواهر الدولية Les Phénomènes Internationaux ومعالجتها باعتبارها وقائع اجتماعية.وهو يقوم كذلك بدراسة الواقع الدولي بطريقة سوسيولوجية تندرج في السياق الجزئي Micro لأنها تدرس أنماط التفاعل بين الفاعلين داخل المجتمع الدولي وهذا النموذج يعمل على نقل العلاقات الدولية من قالبها النظري ويضعها في قالب عملي ووظيفي ،فهذا الكم من المقاربات والبناءات النظرية يساهم في دراسة وتفكيك تحولات الدبلوماسية و المفاوضات في عمليات تسوية الأزمات[30].

هذا التوصيف العلمي الذي يتعلق بهذا التخصص الجديد في ميادين علم الاجتماع السياسي يخلق نوع من التوليف La Combinaison بين عدة مفاهيم أساسية التي تشكل النظرية العامة لسوسيولوجيا العلاقات الدولية التي تعتمد على مقاربة علمية ممنهجة تدرس الدولة ،القوة،المصلحة،الهوية، في إطار يسمح باحتكاك البارادغمات التي هي نسبيا مجردة كالمؤسساتية والواقعية والبنائية constructivisme.

كل هذه المقومات تعطي لهذا التخصص أو النظرة السوسيولوجية للعلاقات الدولية القدرة على خلق نقاشات معرفية تساهم في تأطير الوقائع الدولية لأنه يدرس الفاعلين ، الأدوار ،العقلانية، الصراع ،بناءات الهيمنة التضامن هذه المفاهيم كلها تساهم في بلورة موضوع سوسيولوجيا العلاقات الدولية كحقل معرفي قائم بذاته يرتكز على تنوع المقاربات .وعلى ضوء هذا التشخيص المفاهيمي لهذا التخصص يتضح لنا بأنه يحمل في طياته مضامين تقر وتعترف بأن نظرية العلاقات الدولية هي وليدة العلوم الاجتماعية وهذا ما ينفي صفة الغرابة على سوسيولوجيا العلاقات الدولية ليس بصفته علم قائم بذاته و إنما كذلك موضوع بحث مفروض من طرف نظرة العلوم الاجتماعية من خلال المقاربة التجريبية الاستقرائية

E- ISSN : 2571-9742
DM

L'approche Empirico-Inductive بهدف الوصول إلى استنتاجات عامة تمكن من بناء باراديغم بحثي يسمح على توجيه الباحثين في هذا المجال الجديد.

الذي يدرس قضايا التغيير في العلاقات الدولية ويسمح بتطوير نظرة تحليلية ونقدية للمشهد الدولي وهو بدوره يخلق أنموذج إرشادي يفرض نوع مغاير من التفكير حول القضايا الدولية التي تستمد مرجعيتها العلمية من دراسة نمط تحليل الفاعلين في المشهد الدولي ،ودراسة النسق مابين دولاتي Le Système Interétatique الذي يقوم بمواجهة الحركات الاجتماعية والأحزاب السياسية جماعات الضغط من هنا نستسيغ فكرة مفادها تأثير التداخل **والتبعية المتبادلة** L'interdépendance للسياسة الداخلية على الفعل الدولي[31] .

هذا التخصص جاء كضرورة من أجل استعمال أدوات مفاهمية ونظرية متطورة في إطار علم الاجتماع السياسي وكذلك من أجل صياغة وبلورة نموذج تحليل للدولة ومظهرها الخارجي في الاندماج ودراسة مدى قوة الدول الأعضاء التي تساهم في صياغة قرارات تضمن مصالحها وتدافع عن سيادتها.

فهذا التخصص جاء لكي يدرس الإشكاليات المرتبطة بسيادة الدولة la souveraineté étatique والعلاقات الدولية والعابرة للوطنية **les relations inter –et transitionnelles.**

وهذا كله يعمل على تشخيص الأدوات المفاهمية المتقدمة بالمقاربات السوسيولوجية لسوسيولوجيا العلاقات الدولية التي تكون مفهوم القوة والسيادة والمعايير الدولية كبناءات اجتماعية.فهذه المقاربات السوسيولوجية تعمل على تطوير أدوات التحليل في أو داخل نسق العلاقات الدولية كعلم يدرس أنماط التفاعلات والتواصل،هذه المعايير والمقومات تعمل على تتبع وتأطير مسار الاندماج بين الدول التي تعتمد عليها من التواصل والاتصال وهذا كله يندرج في سياق الاندماج بين الحكومات

L'intégration intergouvernementales. والذي بدوره يسمح بخلق نوع من الاحترام النسبي للسيادة الوطنية للدول[32] وبناءا على هذا التواصل والاحترام تتشكل مقاربة نظرية ومفاهمية تشمل ثلاث أبعاد للاندماج:الاندماج الأفقي والعمودي والقطاعي[33].كل هذه المحاولات العلمية والأكاديمية من أجل تأكيد الحاجة لهذا التخصص أو الحقل الجديد في ميدان علم الاجتماع السياسي جاءت لكي توضح تأثير الأفكار والمصالح والرهانات التي تتبناها السلطة لكي توضح علاقتها مع مسار الاندماج بين الدول والحكومات.

E- ISSN : 2571-9742
DM

وهذا بدوره يخلق طابع دولي للدول والحكومات بصفتهم فاعلين في المسرح الدولي.

فالهدف الرئيسي الذي دفع العلماء والباحثين من أجل دعم وإرساء هذا التخصص أو الباراديغم الجديد هو أنه تخصص يدرس بكل جدية الطابع المابين حكوماتي والعابر للوطنية لفكرة الاندماج le caractère intergouvernementale et transitionnel de l'intégration [34]. وفق أدوات مفاهمية تسمح للدولة بأخذ مكانة مركزية داخل النسق الدولي أو العالمي والمقاربات السوسيولوجية التي تعالج حقل سوسيولوجيا العلاقات الدولية تدرس الدول كبناءات اجتماعية وتضع لها مكان في الفضاء أو المجال الدولي و تعطيها صفة الفاعل الدولي L'acteur international.

وهي بدورها تعتبر الظواهر الدولية les phénomènes internationaux. وقائع اجتماعية وتعمل على القيام بدراسات حفرية على مستوى القوى العميقة في النظام الدولي،وتدرس كذلك الاكراهات وأنماط ممارستها بين الدول وكذلك أنماط الديناميات وتأسس لنموذج الفعل الدولي Le mode d'action international .

الذي ينتج مؤشرات متبادلة الترابط أو تتلاقى في نوع من الترابط المتبادل وتشكل بناء مفاهيمي أو تسمية مفاهيمية لسوسيولوجيا العلاقات الدولية وإضافة إلى ما تطرقنا إليه هو أن هذه المؤشرات ومع كل ما تحمله من قرائن ودلالات تفاعلية وترابطية تساهم في التأثير على الظواهر الدولية.وهذا النموذج من الأفعال الدولية يرتكز إلى حسابات وقيم ومعايير تحافظ على الهويات والثقافات للدول داخل النسق الدولي وتعد بمثابة أسلوب تحليل للأدوار داخل حقل سوسيولوجيا العلاقات الدولية[36]،والاعتماد على آليات التحليل النقدي للمقاربات السوسيولوجية التي تدرس التنافس بين الدول وقياس مدى قوة الدول من حيث تفاعلها وتواصلها مع الحفاظ على هوياتها ومصالحها .فهذا الحقل الجديد لا يستثني دور الدولة في سوسيولوجيا العلاقات الدولية كون الدولة هي نقطة الانطلاق في تأسيس علم الاجتماع السياسي.وجوهر هذه المقاربات التي تشكل النموذج النظري لسوسيولوجيا العلاقات الدولية تعتمد على رفع مناهج وباراديغمات تدرس الدولة كفاعل رئيسي في العلاقات الدولية لقيامها بالفعل الدولاتي L'action étatique.الذي يسمح بتأسيس نظرة vision لهذا التخصص الذي يبحث في معيار القوة داخل العلاقات بين الدول .

ومعيار أو نقطة الجمع بين سوسيولوجيا العلاقات الدولية وعلم الاجتماع السياسي هي دراسة تأثير القوة في العلاقات بين الدول لأن القوة في علم الاجتماع هي علاقة[37] أي قوة الدولة على الحفاظ على

E- ISSN : 2571-9742
DM

مصالحها والقوة على التفاوض في سياق الصراعات والتي تؤهل الدولة بالقيام بسلوكات تمثيلية لمصالحها وسيادتها.وتعمل هذه المقاربات على دراسة وتفكيك مفهوم المصلحة الوطنية بطريقة سوسيولوجية ،فالمصلحة الوطنية من المقاربة السوسيولوجية في سياق العلاقات الدولية هي معيار كون كل فعل تقوم به الدول الفاعلة يعد بمثابة قيمةvaleur تدافع وتمثل المصالح والسيادة الوطنية للدولة.

لأن القيمة هي التي تحفظ السيادة والمصلحة في إطار عملية الاندماج والتفاعل مع الدول[38] والقيمة بدورها تسمح للباحث أن يفهم ويدرك منطق الأفعال والتفاعلات التي تعمل على اعادة انتاج علاقات دولية بين الدول من أجل تحقيق المصالح وحماية السيادة.وهذا بدوره ينتج المظهر المعياري الدولي للاندماج والتفاعل بين الدول لأن الماهية العلمية للمعيار هي دراسة الرابط بين الفعل الدولاتي والمصلحة وتدرس كذلك جوهر التعارض والاختلاف بين الفكرة والتركيز على واقع المصالح الوطنية في المجتمع الدولي[39]،وفق شبكة علائقية ودولية لأن المصالح والقيم تكون محمولة من طرف فاعلين دوليين يقومون بتغيير السياق المعياري للعلاقات الدولية،والذي يجمع بين الأفكار والمعايير،مثل الجمع بين المؤسسة كفكرة والسيادة كقيمة من أجل تحقيق تحالف المصالح الوطنية وفق لأدوات سوسيولوجية في العلاقات الدولية.

وبالتالي يمكن للمقاربات السوسيولوجية أن تدرس تأثير المعايير في العلاقات وكيف تأثر المعايير في العلاقات على الأفكار وإنتاج فعل دولي يخضع للتحليل الإمبريقي. L'analyse empirique لأن تواصل الدول هو الذي يسمح للباحثين في هذا الحقل بتبني تحليل تفاعلي للمعايير وهذا النوع من التفاعل ينتج نوع من المنظمات والمؤسسات فوق الوطنية وبدورها تساعد هذه الفواعل أو المؤسسات في بلورة إطار تحليلي للعلاقات الدولية وفق مقاربات سوسيوسياسية ترتكز على مقاربة الفعل الذي ينظر لتمثلات محتكرة لفعل التواصل والتفاعل بين الدول.

استنتاج منهجي :

ما نستنتجه في هذه المغامرة العلمية هو أن علم الاجتماع السياسي هو تخصص متشعب ومعقد فهو يسمح بنشوء حقل تفاعلي بين كل تخصصات العلوم الإنسانية والاجتماعية لما يحمله في طياته من تصورات ودراسات للظواهر المحلية والدولية.فهذا التوثيق العلائقي الذي قمنا به لم يكن محض صدفة بل عملية تنقيب وحفر معرفي في أعمال بعض المفكرين والمنظرين في حقل علم الاجتماع ووجدنا أو

E- ISSN : 2571-9742
DM

لامسنا إن صح التعبير اللمسة أو الحس السوسيولوجي في المجال الدبلوماسي وخاصة عندما أوجدنا العلاقة بين الفعل الدبلوماسي والمقاربات السوسيولوحية وبالخصوص المقاربة التفاعلية .

ومن هذا المقام لا يمكننا حصر مجالات علم الاجتماع السياسي في الحيز الداخلي للدولة ومؤسساتها والسلطة السياسية بل يمكننا أن نؤسس لمقاربات جديدة تتجاوز حدود الدولة فما وصلنا إليه أو ما نحول أن نصبو إليه هو تجاوزنا لدراسة أنماط التفاعل بين الأفراد داخل المجال السياسي بل سنسعى جاهدين على فهم وتفكيك معاني التفاعل بين الدول والحكومات عن طريق التفاعل المؤسساتي الذي يتجسد في سلوكات و ممارسات الدول هذا كله كان نتاج لمقدمات وفروض واستنتاجات تفيد بأن هذا التخصص الجديد القديم ليس بوافد على علم الاجتماع السياسي بل هو احد دعائمه وركائزه وكلاهما يهتدي إلى منارة واحدة وهي الحفاظ على الاستقرار المجتمعي على الصعيد المحلي والدولي بل يعمل على خلق تعايش وتداخل مصلحي بين الهويات والانتماءات داخل مجال سياسي كوني يقر بالحرية.

الإحالات:

[1]– برتران بادي ماري ،كلود سموتس،إنقلاب العالم سوسيولوجيا المسرح الدولي ،ترجمة ،سوزان خليل ،دار العالم الثالث ،ص.241

2– برتران بادي ماري ،كلود سموتس،إنقلاب العالم سوسيولوجيا المسرح الدولي ،مرجع سبق ذكره ص.242 .

3– المرجع نفسه،ص.246

4– إبراهيم أبراش ،المنهج العلمي وتطبيقاته في العلوم الاجتماعية ، عمان ،دار الشروق للنشر والتوزيع 2008،ص.105.

5– المرجع نفسه، ص.105.

6– إبراهيم أبراش ،المنهج العلمي وتطبيقاته في العلوم الاجتماعية ،مرجع سبق ذكره ،ص.106.

7 – مارتن غريفثس ،خمسون مفكرا في العلاقات الدولية ،مركز الخليج للأبحاث ،الإمارات العربية المتحدة 1999،ص:14

8 – مارتن غريفثس ،خمسون مفكرا في العلاقات الدولية مرجع سبق ذكره،ص.16.

[9] -Raymond Aron ,Une sociologie des relations internationales Revue française de sociologie, 1963, p.307

[10] -Ibid. p.307

[11] - Ibid. ,p.308.

[12] -Raymond Aron ,Une sociologie des relations internationales , Op-cite,p.311

[13] -Ibid.313

E- ISSN : 2571-9742
DM

14- فيليب كابان ،جان فرونسوا دورتيه، علم الاجتماع من النظريات الكبرى إلى الشؤون اليومية أعلام وتواريخ وتيارات ،ترجمة إياس حسن ،دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع ،سورية ،دمشق ،ط1،2010،ص.115

[15] – – المرجع نفسه ،ص115

[16]–المرجع نفسه،ص.115

17– . فيليب كابان ،جان فرونسوا دورتيه، علم الاجتماع من النظريات الكبرى إلى الشؤون اليومية أعلام وتواريخ وتيارات،مرجع سبق ذكره،ص 119

18– محمد عبد الكريم الحوراني ،النظرية المعاصرة في علم الاجتماع التوازن التفاضلي صيغة توليفية بين الوظيفة والصراع ،دار مجدلاوي ،عمان 2007 ،ص.139

19– المرجع نفسه ، ،ص.139

20– ماكس فيبر ، مفاهيم أساسية في علم الاجتماع ،ترجمة صلاح هلال ،مراجعة وتقديم وتعليق محمد الجوهري ،المركز القومي للترجمة ،ط1،2011،ص.72

21–المرجع نفسه ،ص.72

[22]– إبراهيم عيسى عثمان ، النظرية المعاصرة في علم الاجتماع ،عمان ،دار الشروق 2008،ط1،2008،ص.113.

[23]– المرجع نفسه ،ص.114.

24– أنتوني جيدنز، قواعد جديدة للمنهج في علم الاجتماع نقد إيجابي للاتجاهات التفسيرية في علم الاجتماع ،ترجمه وقدم له محمد محي الدين ،مراجعة وتصدير محمد الجوهري ،المشروع القومي للترجمة ،ص.219

[25]-إبراهيم أبراش ،المنهج العلمي وتطبيقاته في العلوم الاجتماعية،دار الشروق للنشر والتوزيع عمان،2008،ط1،2009،ص.127

[26]– المرجع نفسه ،ص.128

[27] – المرجع نفسه ،ص.129

28- Bernard Denni, Patrick Lecomte, Sociologie du Politique, Tome 1 ,IEP-Droit-sciences Eco, Troisième édition revue et augmentée ,Presses Universitaire de Grenoble ,P.153

29 – ريتشارد أوزبرن،بورن فان لون ، علم الاجتماع ، ترجمة حمدي الجابري ، مراجعة وإشراف وتقديم إمام عبد الفتاح إمام ،المشروع القومي للترجمة ، ط1،2005،ص.88.

[30] -Guillaume Devin, Sociologie des relations internationales ,Edition La Découverte ,Paris2002,2007,2013p.04

31-Guillaume Devin, Sociologie des relations internationales Op-cite,p.19 .

[32] - Sabine Saurugger, « Avons-nous besoin d'une sociologie des relations internationales pour analyser l'intégration européenne ? », Revu *Politique européenne* 2008/2 (n° 25), p.194

E- ISSN : 2571-9742

[33] -Ibid.p.194
[34] - Sabine Saurugger, « Avons-nous besoin d'une sociologie des relations internationales pour analyser l'intégration européenne ? », Op-cite , p.195
[35] -Ibid,p195
[36] - Ibid, ,p.196
[37] - Ibid,p.200
[38]- Sabine Saurugger, « Avons-nous besoin d'une sociologie des relations internationales pour analyser l'intégration européenne ? », Op-cite , p.202
[39] - Ibid ,p.203